**المحاضرة الأولى: التطور التاريخي لنظريات الاتصال**

لقد أدى تطور وسائل الاعلام عبر مراحل التاريخ المختلفة ومحاولات الباحثين والمفكرين لدراسة الاتصال ومكوناته وعناصره إلى ظهور نظريات للاتصال الجماهيري في بداية القرن العشرين[[1]](#footnote-2)\* وازدادت الدراسات بعد الحرب العالمية الثانية نظرا لإيمان الدول المتحاربة آنذاك بقوة تأثير وسائل الاعلام والذي كان السبب في بداية الدراسات العلمية التي أجريت من قبل علماء ومفكرين في علم النفس والاجتماع والرياضيات، ذلك أن البحوث الإعلامية الأولى كانت تتم في إطار مفاهيم ونظريات ونماذج منهجية مستوحاة من تخصصات أخرى، ومن اشهر هؤلاء الباحثين والمفكرين: لاسويل، شانون، كاتزولازرسفيلد، وماكلوهان وبارك، وذلك لتحديد تأثيرات وسائل الاعلام على الجماهير ومعرفة الاثار المحتملة لهته الوسائل.

وقد ازدادت أهمية هذه الأبحاث بعد أن تطور علم الاتصال والاعلام وأصبح علما قائما بذاته وله مفكروه وباحثوه الذين توسعوا في دراسة وسائل الاعلام وجمهوره وتأثيراته والتي أدت إلى ظهور النظريات والنماذج والفرضيات المفسرة لعمل وسائل الاعلام والاتصال.

وتاريخ نظريات الاتصال في بدايته يكاد أن يكون تاريخ نظريات التأثير الاعلامي نظرا لإقبال الباحثين والعلماء على هذا الجانب في دراسة العملية الاتصالية والاعلامية بشكل كبير جدا.

وقد مرت نظريات تأثيرات الاعلام بعدة مراحل، فقد أسندت الاتجاهات الأولى في هذا المجال قوة كبيرة إلى الاعلام للتأثير على الجمهور. وتم إيجاز هذا النوع من تأثير الإعلام في مفهوم عرف باسم نظرية **الرصاصة** Bullet theory أو نظرية **الحقنة تحت الجلد**Hypodermicneedletheory ووفقا لهذا المفهوم فإن أفراد الجمهور كانوا معزولين عن بعضهم البعض، وبالتالي كانوا أهدافا سهلة لتأثير الرسائل الإعلامية.

وبعد مدة من الزمن وعدد كبير من البحوث حول كيفية عمل وسائل الاعلام توصل الباحثون في الاعلام إلى ان نظرية الرصاصة غير صحيحة. وقد تولدت هذه القناعة من الدراسات التي أجريت حول الانتخابات الأمريكية خلال الأربعينيات. وأسندت الرؤية الجديدة قوة أقل لوسائل الاعلام وتم تقديم فرضية **التأثيرات المحدودة** في كتاب جوزيف كلابر بعنوان " تأثيرات الاعلام The effects of Mass Communication " وهنا تم النظر إلى الجماهير كأشخاص طبيعيين لديهم قدرة كبيرة على مقاومة الرسائل الإعلامية، بفعل عدد من العوامل التي تشمل دعم الآراء من طرف أشخاص آخرين، وأنواع مختلفة من التصفية النفسية التي تحدث عندما يستقبل الناس الرسائل الإعلامية.

وبعدها، جاءت بحوث جديدة في الاعلام أعادت إلى وسائل الاعلام بعضا من قوتها وان كانت لم تصل إلى ما كانت عليه في ظل نظرية الرصاصة. فقد أسندت نظريات جديدة مثل: **وضع الأجندة**Agenda-setting Theory ونظرية **الغرس الثقافي**Cultivation Theory ما يمكن أن نسميه **بالتأثيرات المعتدلة** لوسائل الاعلام والاتصال الجماهيري. واقترحت نظريات أخرى مثل نظرية دوامة الصمت Spiral of Silence ما يمكن أن نسميه تأثيرات قوية للاعلام في ظروف محددة.

والواقع أنه لا يمكن الحكم بأن التأثيرات النابعة من الاعلام كبيرة أو صغيرة، ولكن يمكن القول إن هناك عددا من المتغيرات التابعة التي يمكن أخذها في الاعتبار في إطار البحث عن التأثيرات المحتملة لوسائل الاعلام. وتبقى النظريات الإعلامية تمر بحالة من التغير المستمر، وربما تحتاج إلى مزيد من التغير أيضا كي تتوافق مع التغيرات في وسائل الاعلام الحديثة.

وفي هذا السياق، يقدم الدكتور" حسني محمد نصر " بعض التغييرات التي تمت ملاحظتها حول تطور نظريات ودراسات الاتصال والاعلام حديثا:

* أصبح هناك تركيز أكبر مما كان سائدا من قبل على استخدامات الجمهور لوسائل الاعلام، وذلك بعد أن أصبح الدور المهم لنشاط الجمهور أكثر وضوحا، في ظل الانتقال إلى أنماط جديدة من وسائل الاعلام.
* هناك تحول إلى علم الادراك أو مداخل معالجة المعلومات، ويتضمن هذا التحول ثلاث زوايا على الأقل:
* تحول في المتغيرات المستقلة من متغيرات الاقناع (مصداقية المصدر، على سبيل المثال) إلى مفاهيم مثل المعالجة (طبيعة اللغة المستخدمة مثلا)، والهيكلية (كيف يتم تجميع حدث من الأحداث وتقديمه في وسائل الاعلام).
* تحول في المتغيرات التابعة الخاصة بالاتجاهات (على سبيل المثال مع وضد شيء ما) إلى المدركات (مثل المعرفة والمعتقدات عن شيء ما).
* تحول التركيز من التغير كنتيجة للاتصال (مثل التغيرات في الاتجاه أو السلوك) إلى إعادة البناء (مثل التغيرات في تصوراتنا أو نماذجنا لحدث ما، أو البناء الاجتماعي للواقع).

وبصفة عامة، فإن التغيرات السريعة في تكنولوجيا الاتصال تؤكد ضرورة أن يحاول الباحثون تشكيل نظرية اتصال تتجاوز التفاصيل الخاصة بوسيلة محددة أو تكنولوجيا معينة.

* بشكل عام، يقسم "ملفين ديفلر" وساندرا روكيتش" تطور نظريات الاتصال الى ثلاثة أجيال:

الجيل الأول: عبارة عن التفسيرات الأولية التي بلورت التفكير حول آثار وسائل الاتصال، مثل النموذج الارتقائي.

الجيل الثاني: وهو النظريات البدائية التي جاءت فيما بعد وحلت محل الأشكال الأولى، مثل نظرية القذيفة السحرية.

الجيل الثالث: وهي النظريات الحديثة، والتي كانت معظمها ردود فعل ضد أشكال الجيل الأول.

1. **\* هناك من العلماء والباحثين المهتمين بمجال الاعلام والاتصال من اعتبر أن نظرية أرسطو حول الخطابة تعتبر أولى الجذور التاريخية لظهور النظرية الاتصالية، حيث أنها الأقرب إلى روح عصرنا الحالي كما يقول الدكتور المحنة، الباحث في مجال الاتصال والاعلام.**  [↑](#footnote-ref-2)